

العلاقة التفاعلية بين القارئ والنص

The Interactive Relationship Between the Reader and the Text

أد، صالح غيلوس
جامعة محمد بوضياف المسيلية (الجزائر)
Salah.ghilous@univ-msila.dz

المعلومات المقال	المخلص:
تاريخ الارسال: 2025/12/26	نظرية التلقي اكتسبت أهمية كبيرة في الدراسات الأدبية الغربية بعد فترة من التردد والتحفظ الذي رافق نشأتها، مما ساهم في تأخر انتشارها حتى نهاية الستينيات. يعود سبب هذا التأخر إلى هيمنة التيارين الواقعي والنفسي على الساحة النقدية حينها. ومع ذلك، تزامن ظهور هذه النظرية مع بروز مجموعة من النظريات النقدية التي أحدثت تحولات جذرية في فهم الأدب بشكل عام، وموقع القارئ فيه بشكل خاص. ويُعزى فضل كبير في تطوير هذه النظرية إلى الرائد فولفغانغ أيزر، الذي أحدث قطيعة معرفية مع التيار النفسي ووجه الاهتمام نحو القارئ باعتباره المحور الأساسي في عملية استقبال النص وما يتبع ذلك من تلذذ أو نقد أو تفاعل أو حوار معه. ومن هنا يبرز السؤال: كيف تعمل العلاقة بين القارئ والنص وفق رؤية فولفغانغ أيزر؟
الكلمات المفتاحية: ✓ التلقي ✓ الواقعي ✓ النفسي ✓ القارئ	
Article info	Abstract :
Keywords: Reception Realistic Psychological Reader	<i>The reception theory had an important place in the Western literary studies, after reservations accompanied its emergence into existence and contributed effectively to delay it until the end of the sixties, as a result of the dominance of two critical currents namely: (realistic and psychological currents). The signs of the emergence of this theory had coincided with critical theories, which changed the vision to literature in general and to the reader in particular, theories created by Robert Iyawas, and Wolfgang Weiser, who put an epistemological rupture with psychological current and focused on the reader as the concerned part of transmission and consumption of text. Thus, the life and the creative movement of the literary work, whatever its source, can not be completed unless by its re-production.</i>

مقدمة:

العمل الأدبي، بغض النظر عن مصدره، لا تكتمل حياته الإبداعية ولا يتحقق تأثيره الكامل إلا من خلال إعادة إنتاجه. وقدّمت أطروحات فولفغانغ أيزر منهجًا منهجيًا واضحًا يساعد القارئ أثناء تحليل النصوص الأدبية بمختلف أنواعها. ويعتمد هذا المنهج على إجراءات تسهم في بناء علاقة تفاعلية إيجابية بين النص والقارئ. يطلق النقاد والمتخصصون في الأدب على هذا المفهوم اسم "القارئ الأعلى" بينما يستخدم أيزر مصطلح "القارئ المثالي" للإشارة إلى النقطة التي يلتقي فيها القارئ مع المحاور الأساسية للنص. من خلال هذا التفاعل، يتم تأسيس واقع أسلوبى ينبع من العلاقة المشتركة بين القارئ والنص. يمكن وصف هذا القارئ المثالي بأنه المعنى الكامن والإشاري الذي يتجلى في رسالة النص، حيث ينبثق الواقع الأسلوبى من سياق النص ويتحقق من خلال هذا التفاعل. مع ذلك، لم تسلم نظرية أيزر من الانتقاد، إذ اعتبر البعض أن مفهوم "القارئ النموذجي" غامض وغير محدد بدقة. فقد رأى المنتقدون أن النص يكاد يتربق قارئًا معينًا دون أن يُحدد ملامحه بوضوح، مما يجعل هذا المفهوم أشبه ببنية غامضة تسعى لتوليد التشويق في العمل الأدبي".¹ بدلاً من تقديم صورة دقيقة للقارئ الفعلي.

ويرى أيزر أن عملية التلقي لا تتوقف عند القارئ الضمني، بل تتجسد في نقطة الرؤية المتحركة التي تسمح للقارئ بالتنقل داخل النص عبر آليتي التذكر والترقب. فالتذكر يحقق اندماج القارئ في النص، بينما يفتح الترقب أفق التحرر منه واستعادة معانيه، وبذلك يتشكل البعد الواقعي الذي يحوّل النص إلى تجربة جمالية جديدة. كما تحتل الفجوات أو البياضات النصية دورًا محوريًا في إنتاج المعنى، إذ يتركها الكاتب قصداً أو تفرضها بنية النص، مما يدفع القارئ إلى ملئها اعتماداً على معرفته بالجنس الأدبي وخبراته الثقافية، وهو ما يضمن تحقق الفعل الجمالي للنص.

وظيفة البياض في النصوص:

تتيح للقراء التنقل بين الأجزاء النصية وربطها من خلال العلاقات الدلالية التي توجههم نحو فهم المقصود من الموضوع. وتعمل هذه الخاصية على تسليط الضوء على جوانب أو خصائص معينة تتعلق بموضوع النص، لكنها تظل غير محددة بشكل كامل، مما يثير فضول القارئ ويدفعه لإكمال ما

ينقص. يُلاحظ أن هذه البياضات تتموضع ضمن مناطق محددة بين الخطوط أو الرؤى النصية. من خلال دراسته، توصل الفيلسوف الألماني فولفغانغ إيزر إلى تصنيف البياض إلى نوعين رئيسيين. الأول يمكن وصفه بالبياضات الوصلية، وهي تلك التي يُخلفها الكاتب دون قصد أثناء الكتابة، بحيث يتطلب الأمر من القارئ التدخل لمثلها وإكمالها. بينما النوع الثاني هو البياضات الفصلية، التي تنشأ نتيجة التفاعل بين القارئ والنص، مع دور يُظهر أهمية الربط بين أجزاء النص عبر العلاقات الدلالية. وبالتالي، فإن رؤية القارئ لا تقتصر على أي جزء معين في النص، بل تظهر داخل مجال التداخل بين الأجزاء النصية، وهو مجال يحد من العشوائية في تجميع وربط النصوص، مما يدعو القارئ لتحليلها وتنسيقها بشكل منظم. ومن المهم الإشارة إلى أنه لا يوجد نص أدبي خالٍ تماماً من البياضات. ويتطلب ملء هذه الفراغات من القارئ التفاعل مع النص ضمن أربعة مجالات أساسية: مجال الاحتمال أو مشابهة الواقع، مجال تسلسل الأحداث وتربطها، مجال ال وتربطها، مجال المنطق الرمزي، وأخيراً مجال دلالة النص

2

النص قد يحتوي على رمزية تتطلب من القارئ فك شفرات اللغة الرمزية للوصول إلى المعنى المقصود. لذا يجب على القارئ أن يضع في اعتباره التحول الذي يحدث في النص من السرد المباشر إلى الإيحاء أو التشبيه أو التمثيل. وهذا يعني أنه يحتاج إلى سجل نصي يبرز المساحات الفارغة والبياضات بشكل واضح. فالسجل، أو ما يُعرف بالذخيرة، يتألف من المواضع الضرورية والقيم الاجتماعية والثقافية والعناصر الأدبية السابقة. ومن هذا المنطلق، يصبح المعنى إطاراً فعلياً يهدف إلى إثارة ردود أفعال مؤثرة لدى القارئ، وهو ما أطلق عليه إيزر السياق السوسيو-ثقافي الذي ينبثق منه النص. لكن السجل المختار يخضع أثناء دمج في النص لتعديلات متناغمة قد تُحدث تغييراً محسوساً في طبيعته، مما يجعله يفقد جانبه التداولي المعتاد. فالعناصر المألوفة تفقد مرجعيتها الأصلية عندما يتم استيعابها داخل النص. ومن طبيعة النظم الدلالية خلال أي فترة زمنية أن تفرض نفسها، حيث يتشكل سجل النص عبر عملية طويلة ومعقدة يتم فيها اختيار عناصر دلالية محددة على حساب أخرى تُستبعد. تشكل هذه الديناميات النصية مساحة للتفاعل والتواصل بين النص والقارئ، مما يستلزم وجود قارئ ذي كفاءة قادرة على إعادة تقييم الأشياء وترتيب العناصر بالشكل الذي يساهم في بناء البعد 3.

السجل النصي :

يقوم بعملية تنظيم العلاقة بين القارئ والنص بما يتضمن المساحات والأنساق المرجعية المضمنة داخله. كما يسهم في ترتيب البنى الدلالية التي ينبغي تحقيق أقصى درجات الفعالية أثناء القراءة. الهدف ليس فقط استكمال البنى النصية، بل تنشيطها وإضفاء دلالات أعمق عليها. يجب أن يتسم تعامل القارئ مع السجل النصي بالوعي، حيث يتم تحديد توافق العناصر داخل النص بجهد القارئ، دون أن يعني ذلك أن النسق والمعنى الناتج سيكونان عشوائيين، بل يرتبطان دائماً بإبراز البنى النصية المباشرة والاستراتيجيات التي ترشد القارئ في كل خطوة من خطوات القراءة الممكنة. لهذا السبب، تُعد الاستراتيجيات النصية عاملاً ضرورياً في إعداد شروط تلقي النص، حيث تقوم بفرز الأنساق بناءً على علاقتها بالمحيط الاجتماعي والثقافي".⁴ ومن هنا، يصبح النص بحاجة إلى استراتيجية واضحة تُنظّم عناصر السجل النصي وتبني جسوراً بين السياقات المرجعية والقارئ.

- دور السجل النصي :

يتجسم في ربط الأجزاء المنفصلة التي تمثل البنيات التي تكمن خلف تقنيات النص السطحية تمكنها من إحداث التأثير في القارئ. وفي خطوة أخرى يُفرغ النص الأدبي عناصر السجل من تداو ليتهما، فيجد القارئ نفسه في مواجهة النص بدون إطار مرجعي مشترك مع ما سيقراً. وهنا يُلجأ إليه كعنصر ضروري لتحيين المقامات التداولية لبناء المعنى أو الموضوع الجمالي للنص، لكن قد يتجه النص الأدبي وجهة تخالف ما يتوقعه القارئ. وخاصة عندما تثار الواجهة الخلفية أو السياق المرجعي، فبمجرد انتفاء عنصر معين أدبي أو غير أدبي من عناصر السجل النصي، يفقد دلالاته ووظائفه التي كان يؤديها داخل سياقه الأصلي، ويُمنح دلالات ووظائف جديدة داخل السياق الجديد، وهذه العملية تخلق علاقة معينة تربط الواجهة الخلفية والواجهة الأمامية.⁵ ومادامت الواجهة الأمامية هي التي تثير الواجهة الخلفية، فإنه على ضوء هذه الأخيرة سوف تُحدد القيمة الدلالية والوظيفية الجديدة، التي اكتسبتها العناصر المنتقاة في السياق الجديد، ومع تقدم القراءة واشتغال العلاقة التفاعلية بين الطرفين، فإن الواجهتين معا يمكنهما أن تتحولا ليتسنى للقارئ أن يقيم علاقة دلالية أولية بين الواجهتين ومهما كانت طبيعة ونوعية هذه العلاقة، فإن العنصر اللاحق من السجل النصي، حتماً سوف يؤثر بالضرورة على الشكل الدلالي للواجهتين وهنا يمكن القول أن النص استطاع فرض استراتيجيته الخاصة

العلاقة التفاعلية بين القارئ والنص

ومنه يتضح أن انفصال الواجهة الأمامية عن الواجهة الخلفية وتبادلها الإضاءة، قد يشكل الشرط الأساسي لعملية الإدراك، لنتنتج توترا يوجه سلسلة من الأعمال المختلفة والتفاعلات ينبثق عنها الهدف الجمالي للنص.⁶

في إطار العلاقة التفاعلية بين الطرفين، يبقى التحليل الاسترجاعي هو المفتاح لتحديد ردود أفعال القراء ضمن سياق أو مستوى معين. كل قراءة تُعتبر إبداعاً جديداً للمعنى، حيث تضيف عمقاً دلاليًا للعمل الأدبي وتفتح المجال لاستمراريته وخلوده. القراءة لا تتوقف بمجرد انتهاء الكتاب؛ بل تستمر في النضج داخل وعي القارئ، ليبرز تأثيرها بعد حين، سواء بشكل إيجابي أو سلبي، وقد تقلب حياة القارئ بالكامل. المعنى بحاجة إلى ذات تُدركه وتستوعبه، إلا أن معظم القراء لا يسعون غالباً إلى هز أسس وجودهم أو التشكيك في قيمهم الأخلاقية والاجتماعية. بدلاً من ذلك، يبحثون في القراءة عما يدعم معتقداتهم ويؤكد شرعيتها، مُستجيباً لتوقعاتهم الفكرية والوجدانية.

- الاستباق :

يجد القارئ نفسه أحياناً يتعجل الأحداث، فيتصور مثلاً نهاية البطل أو مرضه مع بداية الفصل الثاني من الرواية، ويتمنى أن تلتقي النصوص مع توقعاته. ومع ذلك، قد يخالف النص تلك التوقعات، مما يؤدي إلى خلق تجربة جمالية فريدة تتجاوز مجرد فهم المعنى الظاهري للنص. هذه التجربة تثير مشاعر مختلفة، إذ أنها تتجسد في المفاجأة والدهشة التي تأتي من خروج النص عن مُتخيّل القارئ. في تلك اللحظة، يكتشف القارئ بُعداً آخر في ذاته عبر التجربة الجديدة التي انضمت إلى رصيده الفكري والعاطفي. وتُظهر عمليات إعادة القراءة القيمة الحقيقية للنصوص، حيث تكشف أن التجربة القرائية ليست مجرد عملية تراكمية، إنما هي إعادة تشكيل لما سبق أن اكتسبناه. ندرك حينها أن الاستفادة من تجربة ما تعني أحياناً التحرر من وهمٍ كان يُهيمن علينا، لنرى الأمور بزوايا أكثر وضوحاً وثراءً.

- تجربة القارئ الذاتية:

ركز أيزر بشكل كبير على تجربة القارئ الذاتية في تشكيل المعنى، مشدداً على الاستعدادات الفردية والرموز الاجتماعية والثقافية التي تمنح المعنى تناسقه الخاص. ومن خلال التفاعل الإيجابي بينهم، يكتسب المعنى طابعاً متغيراً، حيث يحدد النص مسبقاً طرق تلقيه المحتملة، ويرصد كل منها بفضل قدرات التأثير التي تثيرها بنياته الداخلية. الهدف من القراءة هو أن تتعرف الذات على نفسها من جديد مع كل عملية قراءة، إذ إن النص الأدبي يحتوي على حقيقتين مهمتين: واحدة واضحة والأخرى كامنة. عادةً ما يعبر النص عن فكرة معينة ويترك جانباً آخر في صمت. بذلك تصبح كل

قراءة بمثابة اكتشاف جديد واستيعاب لمعانٍ متغيرة، يرافقها إنتاج مستمر لفهم وأبعاد معرفية. هذا الفعل يدمج بشكل تلقائي وعي القارئ بمجريات النص، ليساهم في كشف الاتجاهات المخفية التي لا يتبينها العالم الخارجي، فيما يمنح القارئ الحرية الكاملة في السعي وراء المعنى. الذي يتجلى بما يلي:

- **مبدأ الواجهة** : هذا المبدأ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستغنى عنه، فهو يعطي النص وجوداً ويوفر على القارئ البحث عن الواجهة خارجه، فالنص ببنية الدلالية ينتج ذاته ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية هيكلية، وعبر تمفصلات التكوين النصي: (البناء، التفاعل، البنيات السوسيو نصية).

- **إشارات نصية**: تشكل عملية الكشف عن المعنى ثورة تدمير للمعنى الظاهري، حيث تتم وفق استراتيجية منظمة، يتعامل القارئ مع مجموعة من الرموز الإشارات النصية سواء كانت تلك الإشارات تأليفية، أو استبدالية، وهذان الشطران نابعان من العلاقة بين المتلقي والنص.⁷ فإذا قرأ القارئ رواية أو قصة فإنه سوف يلتبس طريقه من خلال العالم السردي، الذي ينتظم بأحداثه المتناثرة في وحدات منطقية. وبمأن أحداث الرواية الناضجة فإنها ترتبط ببعضها بعلامات تكاملية التي هي بمثابة معالم يُهتدى بها لاكتشاف عالم النص.⁸

تتشكل هذه السمات بصورة تدريجية من خلال تفاعل متسلسل للعمليات الإدراكية، حيث تتداخل العناصر الثقافية والانفعالية والعلائقية تلقائياً في إنتاج المعنى. وتعمل العوامل الوسيطة بوصفها منبهات مشتركة تسهم في تفعيل الإدراك لدى القارئ، في حين تؤدي الاستعدادات الذهنية وتوقعاته المرتبطة بأهداف القراءة دوراً أساسياً في بناء عالمه الذاتي أثناء التلقي.

ويستند هذا العالم إلى رصيد الذاكرة والخبرات القرائية السابقة، إضافة إلى قدرة القارئ على التعامل مع النصوص المركبة والمتعارضة. كما تؤثر العوامل الوجدانية لدى كل من الكاتب والقارئ في توجيه عملية الفهم. ومن جهة أخرى، تكتسب الاتفاقات السياقية أهمية محورية في ضبط البنى الكبرى للنص، إذ تقوم على استراتيجيات الاستدلال والتشكيل، وعلى أنماط القراءة المعتمدة في مقارنة النصوص.

9 . مما يجعله قابلاً لتعدد المعاني التي لا تنغلق ضمن إطار محدد. تبقى دلالاته مفتوحة لتشكيل تبعاً لأسلوب بنائه وآليات التضمين التي يتضمنها. وبالتالي، فإن فهم النص وإعادة تشكيله عملية تتطلب جهداً ذهنياً ومعرفياً من القارئ، حيث يتعامل مع النص بتفكيك علاماته واستكشاف أبعاده الثقافية

العلاقة التفاعلية بين القارئ والنص

والتواصلية. وباعتبار أن الخطاب بطبيعته يحمل طابعاً استعارياً ويكتنز معانٍ متعددة، فإن ذلك يستدعي مهارةً في الغوص في طبقاته المختلفة وتحليله بعمق. ويبقى فهم النص عملية متجددة ترافق القارئ في مختلف محطات تجربته الإدراكية، إذ لا يتحقق الفهم دفعة واحدة، بل يستمر عبر إعادة صياغة مستمرة للمعنى. هذه الديناميكية تنشط القدرات الذهنية وتدفعها للعمل دون أن توفر لها سيطرة كاملة، حيث يظل التفاعل مع النص حالة مستمرة يفرضها هيكله وطبيعته. وعلى الرغم من أن الفهم يبدأ بالضرورة من القارئ.

بيد أنه يتأثر أيضاً باستراتيجيات الكاتب، الذي قد يعمل على تعزيز تصورات القارئ أو يحفزها لتغييرها ووضع افتراضات جديدة حول دلالات النص. حيث تشكل قراءة النص عملية دائرية الطابع، حيث يصبح تحليل الجزء مرتبطاً بفهم الكل، بينما يعاد النظر في الكل انطلاقاً من التفاصيل الجزئية، ما يجعل الوصول إلى تحديد قاطع للأهمية بينهما أمراً مستحيلًا. بهذا النهج التأويلي الافتراضي، يلجأ القارئ إلى تفسير يتأسس على المنطق الضمني، مع الاستعانة بالشواهد التي تكشف عن مرجعيات الكاتب وآرائه. وهذا التوجه يساعد على نقل المعنى من دائرة الغموض إلى مجال الفهم الواضح. وعليه، يصبح التفسير بمثابة عملية بعث وإحياء للمعنى تمنح النص ديمومة وحيوية متجددة، وتجعله قادرًا على التفاعل مع تساؤلات الواقع".¹⁰

لكن القارئ في هذه الحالة يلجأ إلى توظيف التفسير المنطق الضمني، والرجوع إلى كل الأدلة التي تحدد موقف المؤلف ومرجعياته، أي إخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلي، و يأتي التفسير الذي هو " بمثابة استجماع للماضي؛ أي إنتاج له، وإعادة إنتاج تعطيه حياة متجددة وخلق " ¹¹، تسمح بالإنصات إلى الأسئلة التي يطرحها الحاضر انطلاقاً من وعي أو لاوعي. ومنه فإن اشتغال القارئ على النص لأجل محاورته، والتوغل في أغواره، من أجل الاكتساب المعرفي والثقافي، وهذا يتم شبكة من القوى المبنينة فكرياً وانفعالياً، وبفضل عملية المغايرة إذ تتطلب الإعادة التي تكون أساس عملية التحيين حيث يشتغل التأويل على الرمز".¹²

- قابلية النص للتأويل:

تجلى قابلية النص للتأويل من خلال عملية ذهنية يقوم بها القارئ للكشف عن الغموض وتفسير المبهم بالاعتماد على ما هو معلوم. وفقاً لأمبرتو إيكو، يركز النص على فكرة الرمز، مما يجعله منفتحاً على التفاعل وقابلاً لعدة تأويلات. تعتمد هذه الديناميكية على اتفاق ضمني بين القارئ والنص، حيث تنشأ علاقة تشاركية أثناء عملية القراءة. وفي إطار هذا التفاعل، يسعى النص إلى تحقيق هدفين

أساسيين: إنتاج تراكيب وصور مبتكرة من جهة، والحفاظ على صفة الانفتاح والديناميكية في التأثير من جهة أخرى. فالإنسان بطبيعته يميل إلى إبداء اهتمام بما يدور حوله من ظواهر، ويسعى دائماً لفهم الظاهر والخفي منها. وعندما تتعارض بعض العناصر مع توقعاته أو يتحدى المؤلف لديه، يلجأ إلى التأويل كخيار لإعادة تفسير البناء المعنوي واستيعابه.

إذ يمكن القول بثقة أن القراءة ليست مجرد عملية لملاء الفراغات، كما يقترح إنجار دن، أو لتلوين البياض وفق رؤية أيزر. بل إنها تتجاوز ذلك إلى محاولة القارئ للإمساك بجوهر النص وثيمته الأساسية. في هذا السياق، تبدأ عملية التأويل بما يُعرف بالتأويل الأولي أو المحلي، وهو العملية التي تركز أولاً على تحديد الإطار الزمني لتفسير النص. هذه الخطوة تتطلب توفر دلائل تسهم في توجيه القارئ نحو فهم صحيح، مما يساعد في تقييد نطاق تأويله لتجنب الانحرافات الكبيرة عن المعنى المقصود، وبالتالي ضمان أن يظل تفسيره مضبوطاً أقصى ما يمكن. وبارتباط ذلك بضرورة المعنى، يصبح الالتزام بالسياق الزمني، التاريخي، والنفسي للنص ضرورياً للغاية. هذه العملية تتسم بتعديلات مستمرة تحدث عبر مراقبة دقيقة للنص، مما يتيح للقارئ أن يبني تدريجياً مخزوناً من الخبرات الجديدة من خلال استمرارية القراءة والتفاعل مع النصوص المختلفة.

فكل تجربة قرائية يمر بها القارئ يمكن القول عنها أنها بداية جديدة لتأسيس تأويلات أخرى. وهذه الأخيرة تعكس بدورها كثافة وعمق في التفكير وهذه العملية القرائية تشكل آلية عمل حرفية تعدُّ بمثابة رصيد إجرائي، يعين على الفحص والتقويم بواسطة إجراءات وضعها أيزر وهي:

- الاحتمالات التي يتضمنها النص بوصفها تمثيلاً لما كان يطلق عليه إنغار دن المظاهر التخطيطية.
- الإجراءات التي يحدثها النص في عملية التلقي، وذلك لأن بنية التخييل التي يبني عليها النص، إنما تضع المعنى في نسق من الصورة الذهنية لتعميق الطابع الاحتمالي الأول.
- يتضمن البناء المخصوص للأدب على شروط تحقق وظيفته التواصلية، نظراً لاشتمالها على حالات تصعد وتحكم تفاعل النص والقارئ.¹³ وهذه الآليات تسهم ألياً في بناء المرجعية الفكرية والثقافية.
- تتعاقد الاستراتيجية ومستويات المعنى ومواقع اللا تحديد مع السجل النصي لتمثل المعنى.
- التأويل غير محدود، هو محاولة الوصول إلى دلالة نهائية.
- التأويل غير المحدود يؤدي حتماً إلى الانغلاق على مستوى البنية الفنية والجمالية، التي بتأويلها توصلنا إلى الكشف عن العلائق القائمة بين الدلالات لفك هذه العلائق.

العلاقة التفاعلية بين القارئ والنص

- الدلالة الخطابية للنص الشعري قد تكون نسبية إلى حد ما.
 - وهنا نجد أيزر يشترك مع أمبريتو إيكو في مسألة البحث عن الجذور الخفية لكل أشكال التأويل التي مورست وتمارس على النصوص فوجد حالتين هما:
 - أن التأويل محكوم بمرجعيات وحدود وقوانين وضوابط ذاتية، فهو ليس فعلاً مطلقاً.
 - التأويل رسم لخارطة تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة، وهذه الأخيرة تسقط انطلاقاً من معطيات النص، وتطمئن إليها الذات نفسها.
- يلفت بعض الباحثين الأنظار إلى الإشكاليات التي تحيط بعملية التأويل ونتائجها، حيث يعتبرون القراءة عملية إعادة بناء للنص تتم من قبل قارئ يحمل سمات وخلفيات ثقافية تختلف بحسب السياق لكل قراءة. وبذلك تصبح القراءة ممارسة ذات طابع شخصي، تعتمد في جوهرها على مهارات القارئ وتجربته، ما يجعلها بعيدة عن أن تتحول إلى منهج علمي دقيق مثل السيميولوجيا، التي تتبنى المنهج البنيوي للنص وتهدف إلى تقليص التفسيرات المفتوحة لصالح تحليلات وصفية وظيفية تنخرط ضمن إطار "علم الأدب، ومع أن هذا التصور يحمل قدراً من المصادقية، إلا أن اختزال القراءة في الجانب الوظيفي فقط يغفل الطبيعة الديناميكية لعملية التأويل. فالتأويل عملية متواصلة تسعى باستمرار لكشف المعنى، وهو خطوة أساسية لفهم الذات. وحين يحاول القارئ في سياق معين أن يضع النص في إطار محدد للوصول إلى معناه، يصبح ضرورياً تبني موقف أكثر انفتاحاً، بحيث يشكل الحوار مع النص جزءاً لا يتجزأ من التجربة القرائية، بما يعزز التكامل بين التلقي والإبداع في الحاضر والمستقبل.
- ويبقى الأثر الجزء الأخير في القراءة يحظى به المفهوم الوجودي عن التملك موضع جدل بين المساواة المعاصرة والاندماج، وقد " تتحقق هذه الغاية بمقدار ما يحقق التأويل معنى النص الحاضر. وهذا المفهوم الذي طرحه أيزر هو بحاجة إلى نظير نقدي.
- الاستيعاب :

عند علماء النفس، وبدون ذلك هذه العملية فإن التملك يمكن أن يتعرض لخطر سوء الفهم. لأن الذي يملكه القارئ لحظة الممارسة القرائية، ليس سوى قوة انكشاف عالم يشكل إحالة النص، وهذا ما يستلزم صوغ أنفسنا وإلا تملص من وعينا. وهنا تكمن صعوبة التأويل لأن المعطيات الموجودة في النص لا يمكن التحقق منها، أو مقارنتها مع الوقائع الحقيقية لاعتبارات عديدة منها: (ردود الأفعال، السياق، الحيز الفضائي... الذاتية¹⁴).

وعليه فرهان التأويل عند فولفغانغ أيزر يسعى إلى إعادة بناء النصوص السابقة، بما يتوافق والإجراءات التي جاء بها في نظريته التي تركز على معيار التأويل كإجراء فعال لاستمرارية المعنى، وهو يتفق في ذلك مع السيميائي بيرس، الذي يعتبر ضروب الإنتاج الدلالي مقولات سيميائية مستقلة محددة لظواهر التدلال في أنساق مختلفة، وسعي القارئ هنا السيطرة على مقاربتة الذاتية، وذلك أن يقر بالأفق المحدد لوضعه التاريخي.

وبهذا الطرح ينطلق القارئ في رحلة لبناء حوار تأويلي حيوي يجمع بين المعطيات الأولية للنص والرؤى التحليلية المستحدثة له، حيث تمتزج النظرة الجديدة مع سلسلة تاريخية من الأبعاد والمعاني المترامية. القراءة هنا ليست مجرد استعراض للكلمات، بل مغامرة ذهنية للتعلم في رموز النص وتشعباتها، واستكشافاً لخفايا تركيبه. إنها عملية تثمر فضاءات فكرية أوسع، تفسح المجال لتطوير قراءات متعددة تنطوي على تحديات التأويل بحد ذاته. وفقاً لما يقدمه فولفغانغ أيزر، فإن القراءة هي تجربة ديناميكية لا تتبع مساراً ثابتاً كما تفترض بعض التوجهات النقدية التقليدية، بل تمثل تفاعلاً مستمراً ومتجدداً بين القارئ والنص. وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها الجيل الثاني من نظرية التلقي، والذين أثاروا شكوكاً حول فكرة النص المتطابق لدى جميع القراء، تظل نظرية أيزر محطة فارقة في دراسة العلاقة الأدبية. فقد أفسحت المجال لحرية أكثر في التأويل، وأبرزت القراءة كعملية نشطة مفعمة بالحياة والديمومة، تعيد تشكيل المعنى باستمرار مع كل قراءة جديدة.

الهوامش:

- 1 - عبد الناصر حسن محمد : نظرية التوصليل وقراءة النص الأدبي ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 138
- 2 - حسن مصطفى سحلول : نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، دراسة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 59
- 3 - نفسه، ص 38
- 4 - نفسه ، ص 154
- 5 - نفسه، ص 202
- 6 - روبرت سي هول : نظرية الاستقبال ، مقدمة نقدية، تر، رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع الإذقية، ط1، 1992، ص 107
- 7 - محمود عباس عبد الواحد : قراءة النص وجمالية التلقي ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط1، 1996، ص 46
- 8 - نظريات القراءة وتأويلها ، ص 68
- 9 - نفسه : ص 89
- 10 - نظرية التأويل وفائض المعنى ، ص 125
- 11 - جمالية التلقي ، ص 170

العلاقة التفاعلية بين القارئ والنص

12 - من النص إلى الفعل، ص120

13 - محمود عباس : نظرية القراءة و التوصيل ، ص 128

58- الجيلالي الكدية : تأويل النص الأدبي ، نظريات ومناقشة ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1994 ، ط1،
ص 36